

دار شهرزاد

مؤسسة ثقافية للنشر خاصة بالأطفال

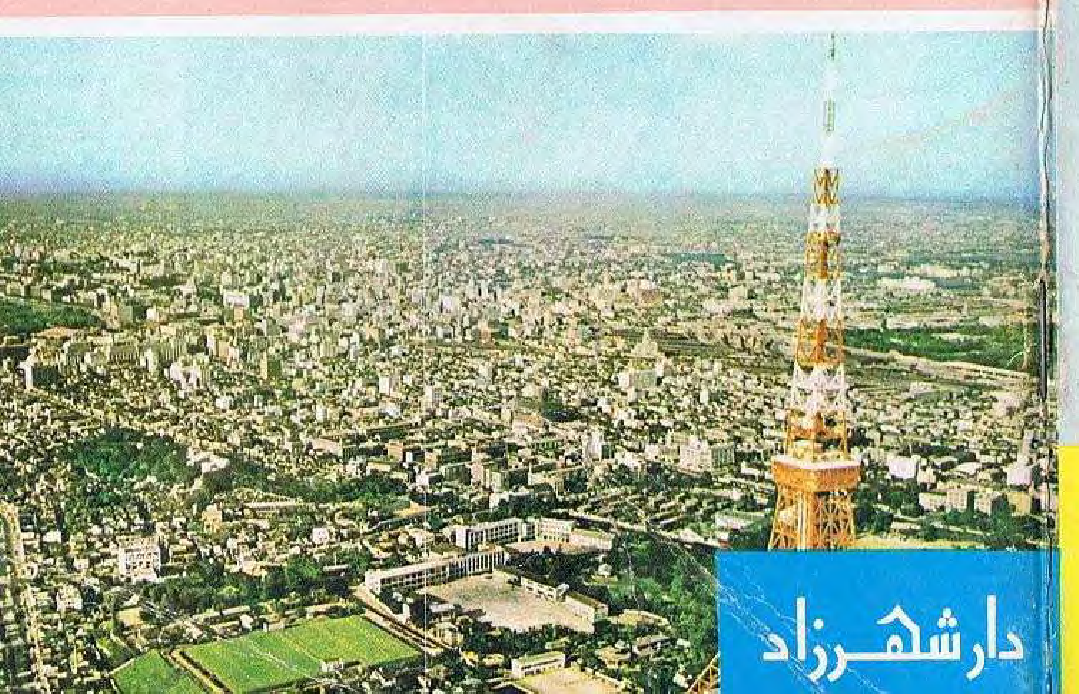
بيروت

تطلب من

دار العلم للملايين   مؤسسة نوفل

الثمن : ٢٠٠ ق.ل. او ما يعادلها





حياة الإنسان

في المدن



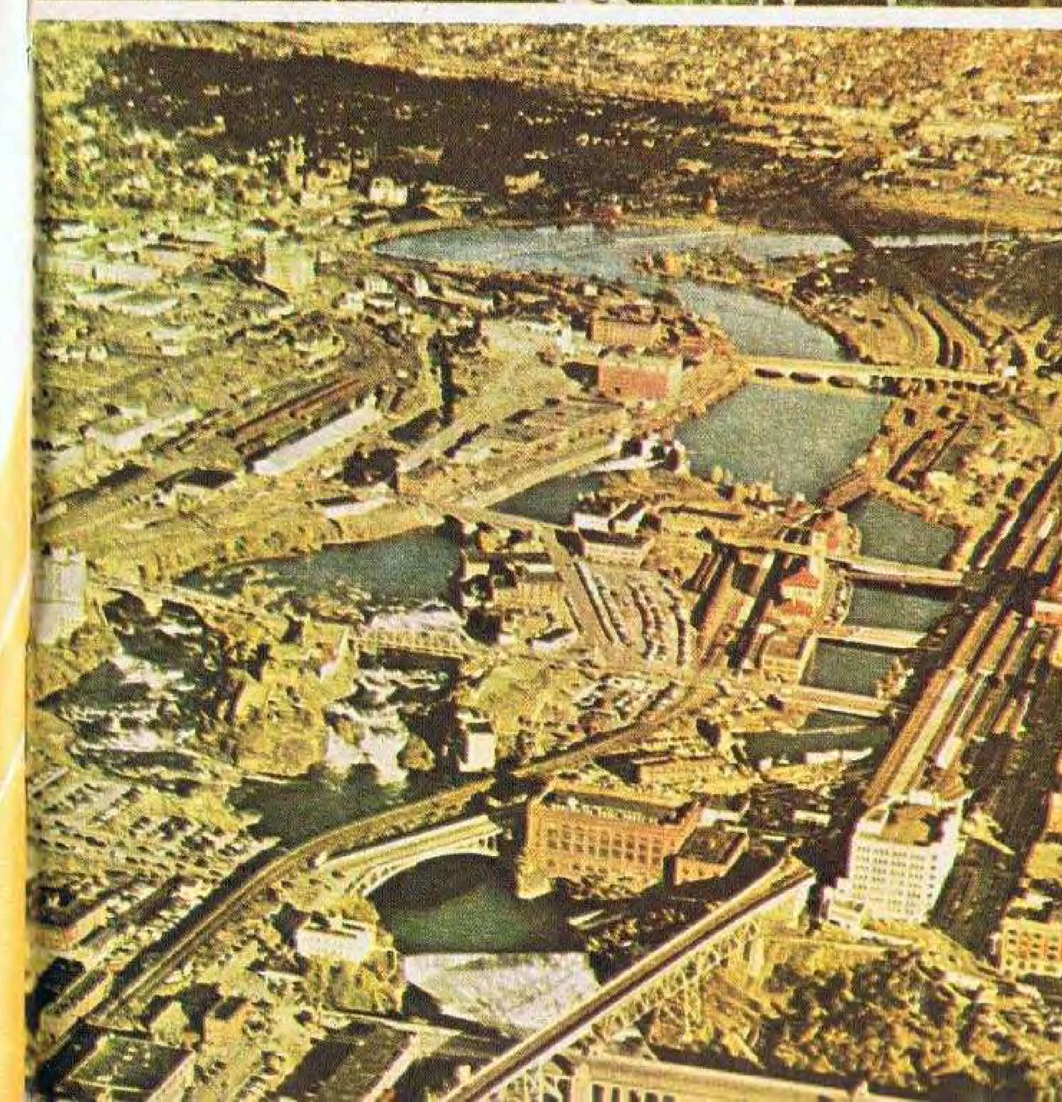
دار شهرزاد

قِيامُ ٱلْمُدُن

أَنْشَأَ ٱلإِنْسانُ ٱلْمُدُنَ في أَماكِنَ مُخْتَلِفَةِ ٱلْمَواقِعِ . مِنْها ما أُقيمَ عَلى شَواطِئِ ٱلْبِحارِ ، وَمِنْها ما أُقيمَ عَلى ضِفافِ ٱلْأَنْهارِ أَوْ في ٱلْواحاتِ داخِلَ ٱلصَّحْراءِ أَوْ في ٱلْجِبالِ ٱلعالِيَةِ .

السَّبَبُ في هٰذا ٱلاِخْتِلافِ أَنَّ غاياتِ ٱلشُّعوبِ ٱلَّتي أَنْشَأَتِ ٱلْمُدُنَ لَمْ تَكُنْ واحِدَةً ، وَإِنَّما كانَتْ مُتَنَوِّعَةً وَأَحْياناً مُتَناقِضَةً . فَإِنَّ كَثيراً مِنَ ٱلْمُدُنِ قَدْ ظَهَرَ عَلى ٱلشَّواطِئِ لِتَكونَ مَرافِئَ يَنْطَلِقُ مِنْها ٱلتُّجّارُ في أَسْفارِهِمُ البَعيدَةِ ، كَما أَنَّ عَدَداً آخَرَ قَدْ أُقيمَ في ٱلْمَواقِعِ ٱلْمَنيعَةِ في ٱلْجِبالِ ، فَحَصَّنَها ٱلإِنْسانُ ، وَأَصْبَحَتْ مَلْجَأً أَميناً لَهُ وَلِثَرْوَتِهِ وَأُسْرَتِهِ . وَعَمَدَ ٱلْحُكّامُ أَحْياناً إِلى بِناءِ ٱلْمُدُنِ لِاتِّخاذِها مَراكِزَ إِدارِيَّةً أَوْ سِياسِيَّةً أَوْ عَسْكَرِيَّةً كَبَغْدادَ مَثَلاً ٱلَّتي بَناها أَبو جَعْفَرٍ ٱلْمَنْصورُ لِتَكونَ عاصِمَةً لِلدَّوْلَةِ ٱلْعَبّاسِيَّةِ .







أَقْدَمُ ٱلْمُدُنِ وَأَكْبَرُها

لا شَكَّ في أَنَّ أَقْدَمَ ٱلْمُدُنِ في ٱلعالَمِ هِيَ ٱلْمُدُنُ ٱلشَّرْقِيَّةُ ، لِأَنَّ ٱلْغَرْبَ لَمْ يَعْرِفِ ٱلْمُدُنَ إِلّا مِنْ زَمَنٍ مُتَأَخِّر . غَيْرَ أَنَّ ٱلْأَساطيرَ وَٱلرِّواياتِ مُتَضارِبَةٌ وَمُتَناقِضَةٌ حَوْلَ أَقْدَمِ مَدينَةٍ في ٱلعالَمِ . يُؤَكِّدُ بَعْضُها أَنَّ دِمَشْقَ هِيَ ٱلْأَقْدَمُ ، وَيَذْهَبُ بَعْضُها ٱلْآخَرُ إِلى أَنَّ أَقْدَمَها هِيَ مَدينَةُ جُبَيْلٍ ٱللُّبْنانِيَّةُ ، وَيَزْعُمُ آخَرونَ أَنَّ أَقْدَمَ ٱلْمُدُنِ قَدْ ظَهَرَتْ في ٱلْهِنْدِ وَٱلصّينِ . وَمَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فَإِنَّ إِقامَةَ ٱلْمُدُنِ هِيَ عادَةٌ قَديمَةٌ جِدًّا دَرَجَتْ عَلَيْها ٱلشُّعوبُ مُنْذُ آلافِ ٱلسِّنين .

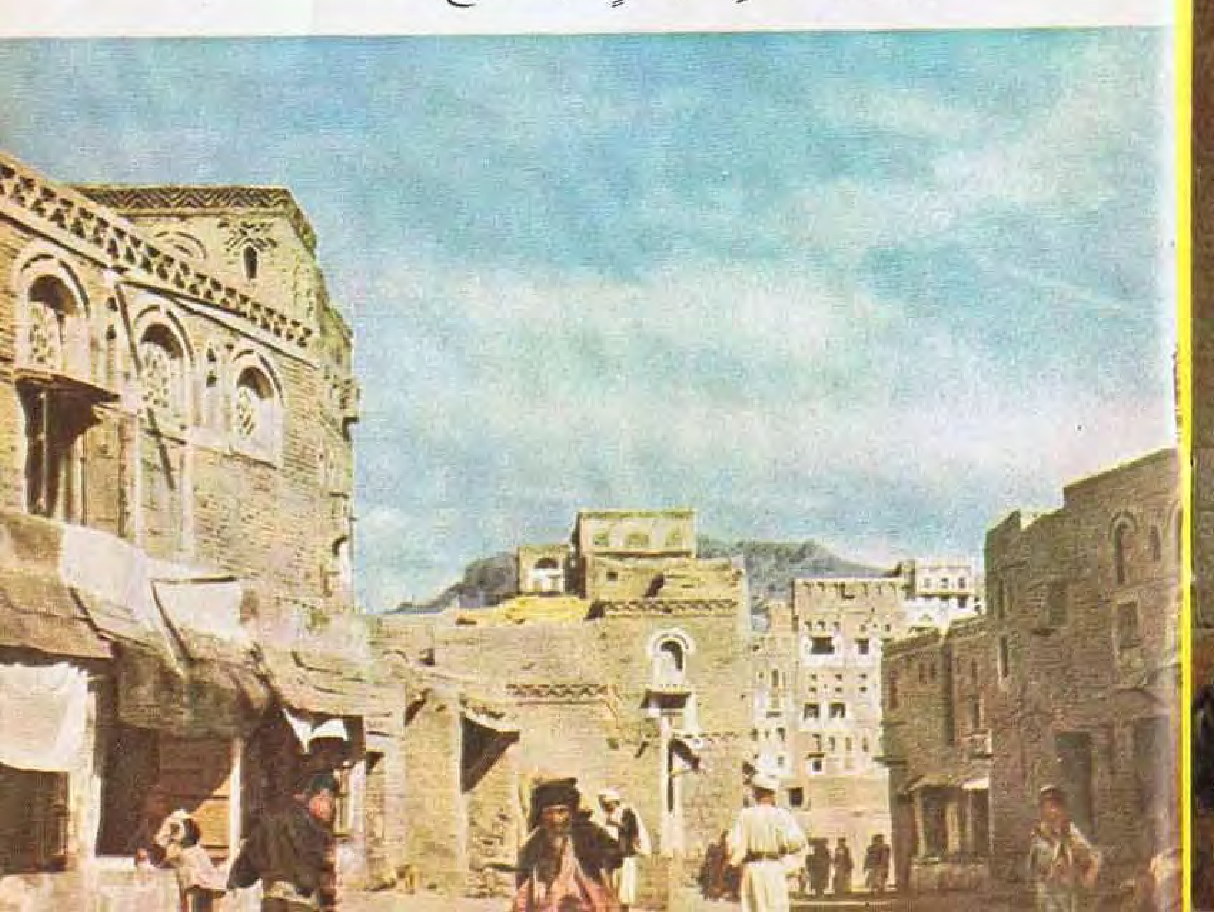
في عالَمِنا ٱلْيَوْمَ أَكْثَرُ مِنْ مِائَةِ مَدينَةٍ كَبيرَةٍ يَفوقُ سُكّانُ كُلٍّ مِنْها مَلْيونَ نَسَمَة . مِنْها ٱلقاهِرَةُ وَٱلدّارُ

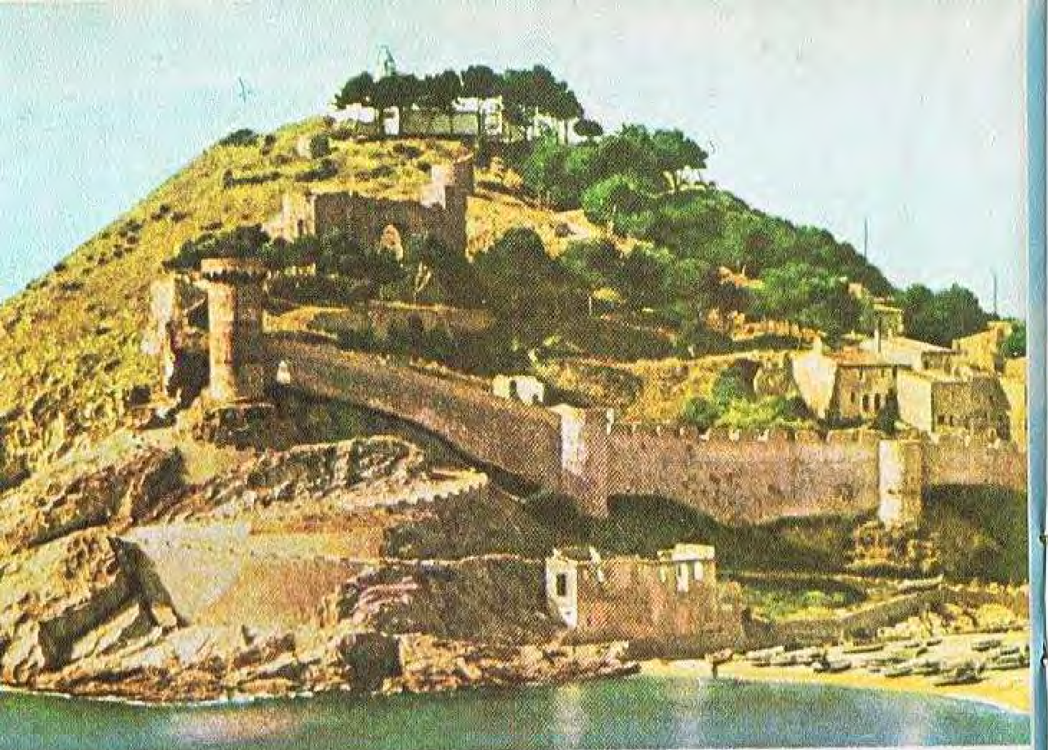


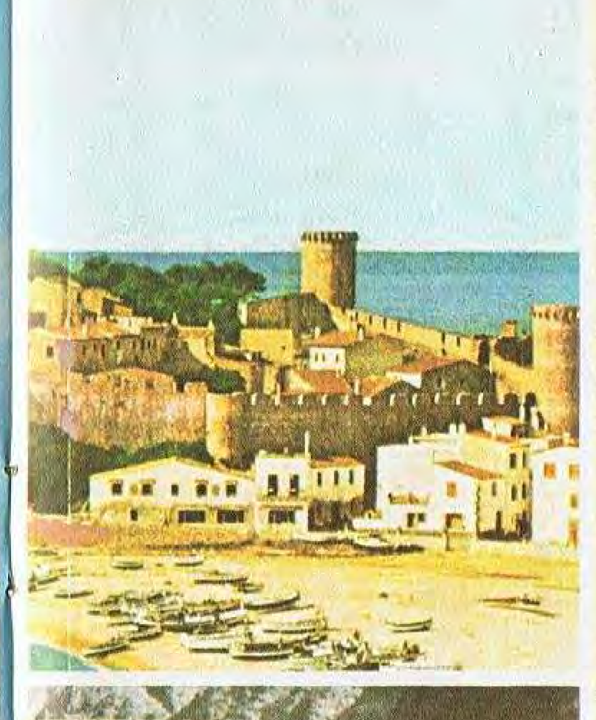
ٱلْبَيْضاء وَٱلْجَزائِر . وَهُناكَ عَدَدٌ مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلْكَبيرَةِ جِدًّا ٱلَّتي يَتَجاوَزُ سُكّانُها خَمْسَةَ مَلايينَ كَباريس، وَلُنْدُنَ، وَنيويوركَ، وَشانْغاي في ٱلصّين، وَطوكيو وَسِواها مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلضَّخْمَةِ ٱلَّتي يَزيدُ سُكّانُها على سُكّانِ بَلَدٍ مُتَوَسِّطِ ٱلْحَجْمِ .

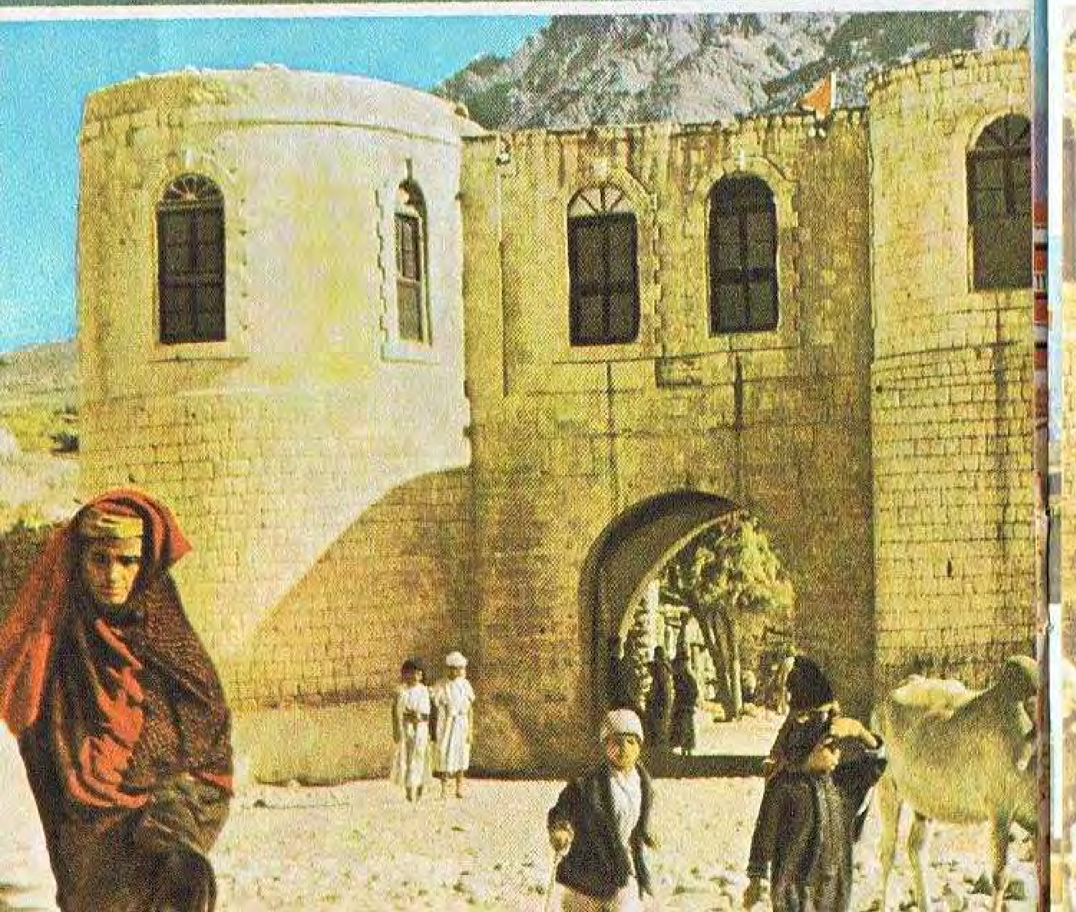
المُدُنُ ٱلقَديمَة

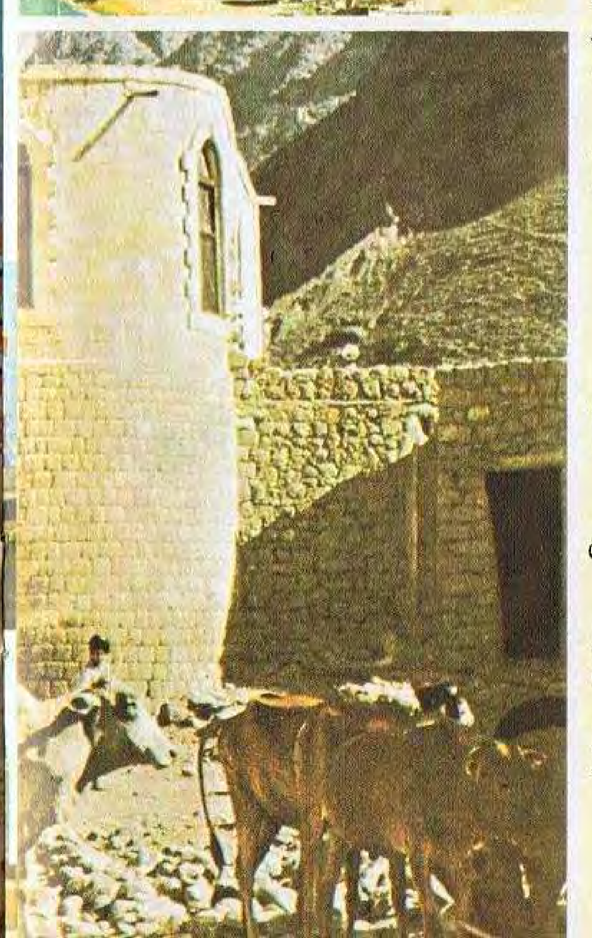
إذا زُرْنا ٱلْأَحياءَ ٱلْقَديمَةَ في أَيَّةِ مَدينَةٍ عَرَبيَّةٍ نَسْتَطيعُ أَنْ نُكَوِّنَ فِكْرَةً عَنِ ٱلْمُدُنِ ٱلْقَديمَةِ كَما كانَتْ قائِمَةً مُنْذُ مِئاتِ ٱلسِّنين . فَهِيَ تَتَمَيَّزُ بِضيقِ شَوارِعِها وَتَلاصُقِ مَنازِلِها وَٱقْتِصارِها على طَبَقَةٍ واحِدَةٍ او طَبَقَتَيْنِ عَلى ٱلْأَكْثَرِ، وَإِنْ بَنى ٱلْيَمَنيّونَ قَديماً مَنازِلَ تَصِلُ إِلى ثَلاثِ طَبَقاتٍ أَوْ أَرْبَع .











تُحيطُ بِٱلْمُدُنِ ٱلْقَديمَةِ أَسوارٌ مَنيعَةٌ يَتَحَصَّنُ ٱلسُّكّانُ وَراءَها إِذا داهَمَهُمُ ٱلْخَطَر. وَلِهٰذِهِ ٱلْأَسوارِ أَبوابٌ تُقْفَلُ لَيْلاً وَتُفْتَحُ نَهاراً لِيَتَمَكَّنَ ٱلسُّكّانُ مِنَ ٱلْخُروجِ إِلى ٱلْمَناطِقِ ٱلْمُجاوِرَة. وَجَرَتِ ٱلْعادَةُ ، في عَدَدٍ مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلْقَديمَةِ ، بِأَنْ تُقامَ أَبْوابٌ داخِلِيَّةٌ فاصِلَةٌ بَيْنَ ٱلْأَحياءِ وَٱلْحاراتِ لِتُقْفَلَ عِنْدَ هُبوطِ ٱلظَّلام .

تَعْتَمِدُ ٱلْمُدُنُ في تَموينِها ٱعْتِماداً تامّاً عَلى ٱلْأَرْياف . وَهِيَ تَحْتاجُ يَوْمِيّاً إِلى مِئاتِ ٱلشّاحِناتِ مِنَ ٱلْمَوادِّ ٱلْغِذائِيَّةِ ٱلَّتي تَأْتيها مِنَ ٱلْمَناطِقِ ٱلزِّراعِيَّةِ ٱلْمُحيطَةِ بِها .



ٱلْمُدُنُ ٱلْحَدِيثَة

تَتَمَيَّزُ ٱلْمُدُنُ ٱلْحَدِيثَةُ بِكَثافَةِ ٱلسُّكّانِ وَبِٱرْتِفاعِ أَبْنِيَتِها ٱلَّتي قَدْ تَتَجاوَزُ أَرْبَعَمائَةِ مِتْرٍ في ناطِحاتِ ٱلسَّحابِ ٱلْأَمْريكِيَّةِ . وَلا شَكَّ في أَنَّ هٰذِهِ ٱلْكَثافَةَ في ٱلسُّكّانِ تُعَرْقِلُ ٱلْمُواصَلاتِ وَتُعيقُ ٱلتَّنَقُّلَ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ . لِذٰلِكَ عَمَدَ ٱلْمَسْؤولونَ إلى تَنْظيمِ وَسائِلِ ٱلنَّقْلِ بِتَوْسيعِ ٱلشَّوارِعِ وَبِإِقامَةِ أَنْفاقٍ تَحْتَ ٱلْأَرْضِ أَوْ جُسورٍ فَوْقَ ٱلْمَنازِلِ لِتَسْييرِ ٱلْقِطاراتِ ، كَما هِيَ ٱلْحالَةُ في ٱلْمُدُنِ ٱلْكُبْرى .



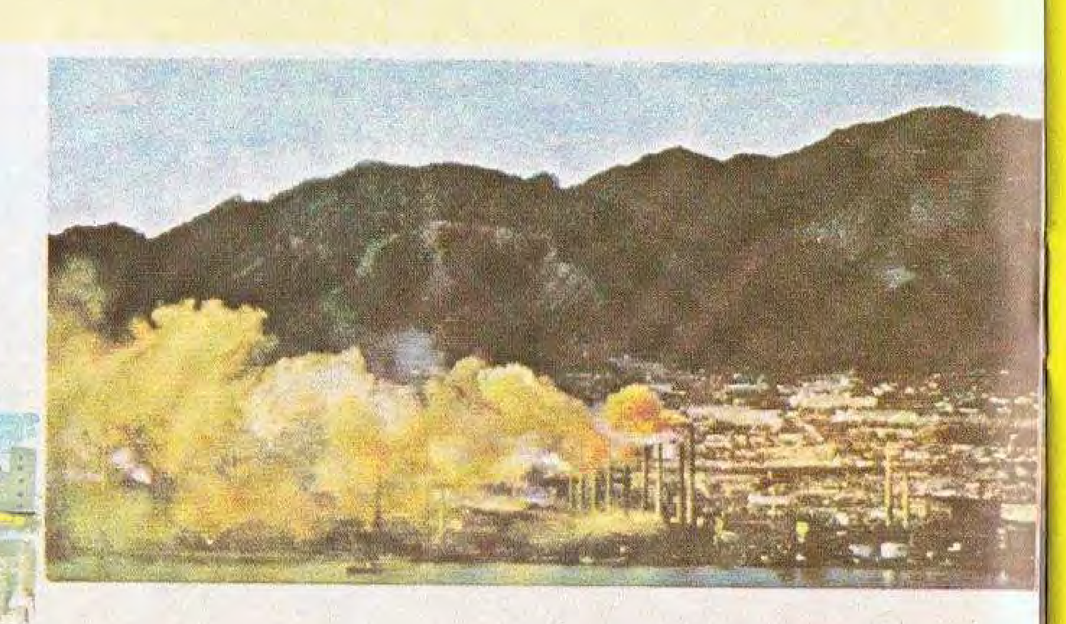


مِنْ مَتاحِفِ
ٱلْمُدُنِ ٱلْكُبْرى

ٱلْحياةُ في ٱلْمُدُنِ ٱلْكَبيرَة

تَكْثُرُ في ٱلْمُدُنِ وَسائِلُ ٱلرَّفاهِيَةِ وَٱلتَّسْلِيَةِ ٱلَّتي لا وُجودَ لَها في ٱلْأَرْيافِ كَدورِ ٱلسِّينَما وَٱلْمَسارِحِ وَٱلْمَتاحِفِ . وَتَتَعَدَّدُ فيها أَيْضاً ٱلْمَراكِزُ ٱلثَّقافِيَّةُ وَٱلْمَدارِسُ ٱلْكَبيرَةُ وَٱلْجامِعاتُ وَٱلْمَكْتَباتُ ٱلْعامَّة .

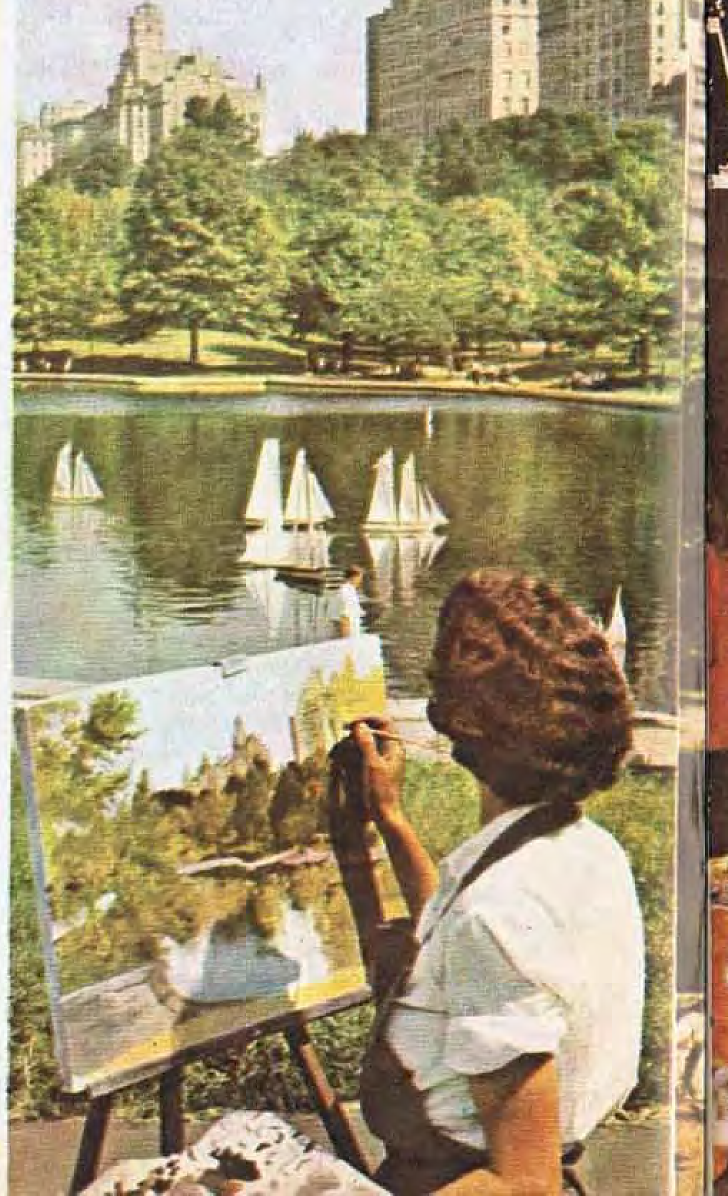
غَيْرَ أَنَّ ٱلْحَياةَ في ٱلْمُدُنِ ٱلْكَبيرَةِ لا تَخْلو مِنَ ٱلْمَساوِىءِ . مِنْها ٱنْقِطاعُ ٱلْإِنْسانِ عَنِ ٱلطَّبيعَةِ ، وَعَيْشُهُ في جَوٍّ مُلَوَّثٍ بِٱلدُّخانِ وَٱلْغُبارِ ، مَمْلوءٍ بِٱلضَّجيجِ .



لذا سَعَتِ ٱلْحُكوماتُ إلى إقامَــةِ ٱلْحَدائِقِ ٱلْعامَّةِ وَٱلْمُتَنَزَّهاتِ لِتَنْقِيَةِ ٱلْهَواءِ وَتَيْسيرِ ٱلنُّزْهَةِ على طُلّابِها. وَأَخَذَ سُكّانُ هٰذِهِ ٱلْمُدُنِ بِٱلِٱنْتِقالِ تَدْريجيًّا إلى ٱلضَّواحي حَيْثُ يَبْنونَ مَنازِلَ مُنْفَرِدَةً تُشْبِهُ ٱلْمَنازِلَ ٱلْقَرَوِيَّةَ.



ٱلْأَنْهارُ وَٱلْأَشْجارُ تُسْبِغُ عَلى عَدَدٍ مِنَ ٱلْمُدُنِ مَسْحَةً خاصَّةً مِنَ ٱلْجَمالِ ٱلَّذي يَجِدُهُ ٱلْإِنْسانُ عادَةً في ٱلرِّيفِ.





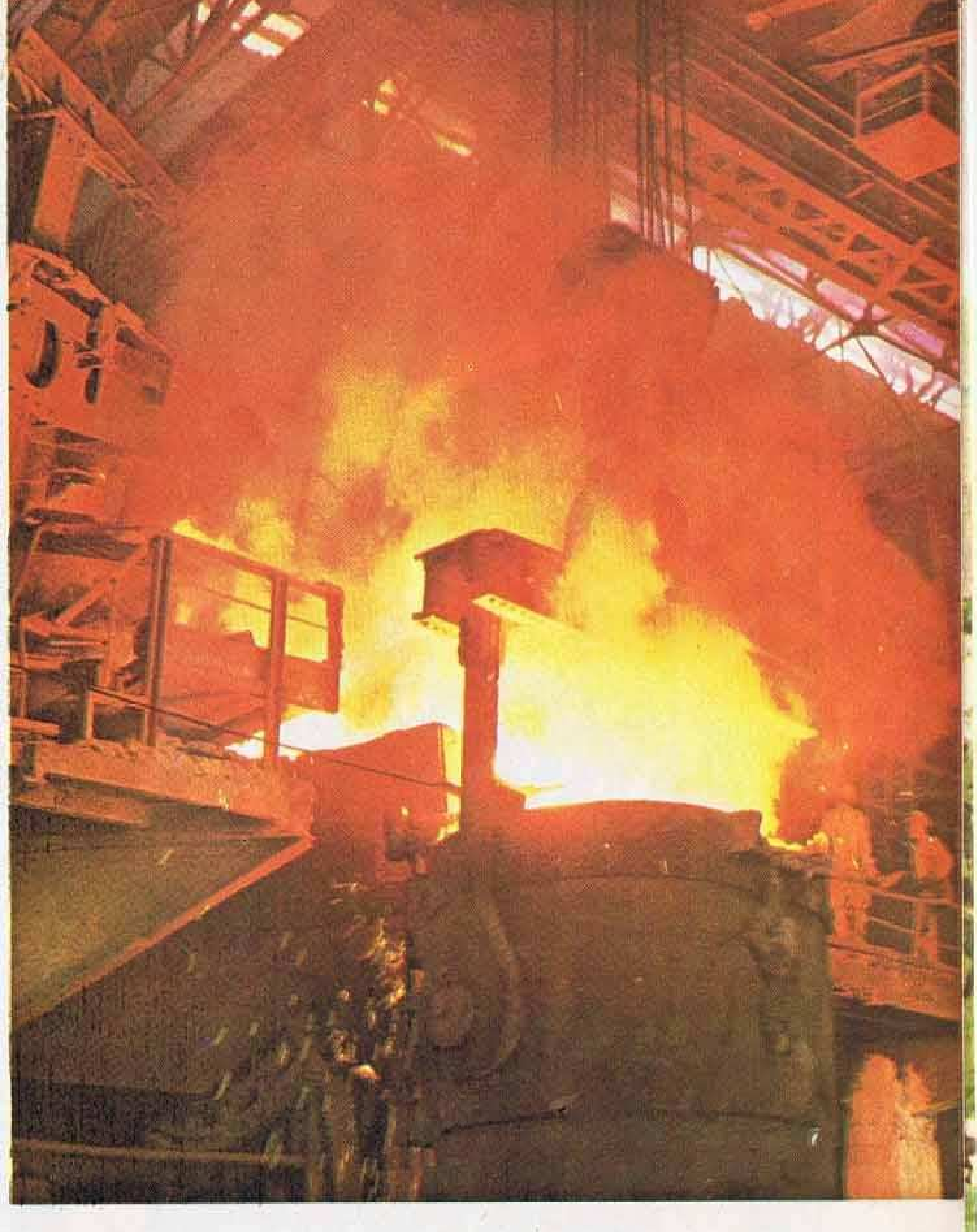




مَصادِرُ ٱلْكَسْبِ

كانَ سُكّانُ ٱلْمُدُنِ يَعْتَمِدونَ في كَسْبِ مَعيشَتِهِمْ عَلى ٱلتِّجارَةِ وَعَلى عَدَدٍ مِنَ ٱلصِّناعاتِ ٱلْحِرَفِيَّةِ . وَلما بَدَأَتِ ٱلصِّناعاتُ ٱلْحَديثَةُ بِٱلنُّمُوِّ شُيِّدَتِ ٱلْمَعامِلُ في ٱلْمُدُنِ لِكَثافَةِ شَبَكَةِ ٱلْمُواصَلاتِ ٱلْمُحيطَةِ بِها ، وَلِسُهولَةِ إِيجادِ ٱلْيَدِ ٱلْعامِلَةِ ٱللّازِمَةِ ، وَلِأَنَّ ٱلْمُدُنَ نَفْسَها هِيَ أَسْواقٌ أَساسِيَّةٌ لِٱسْتِهْلاكِ ٱلْبَضائِعِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ وَٱلْمُتَنَوِّعَةِ . فَكَثُرَ ٱلْعَمَلُ أَمامَ أَبْنائِها وَٱلنّازِحينَ إِلَيْها وَأَصْبَحَ تَسْييرُ ٱلْآلاتِ باباً مِنْ أَبْوابِ ٱلِٱرْتِزاقِ ٱلْمُهِمَّةِ .

في ٱلْمُدُنِ وَسائِلُ أُخْرى لِكَسْبِ ٱلْعَيْشِ مِنْها ٱلْعَمَلُ في ٱلْإِداراتِ ٱلْعامَّةِ حَيْثُ يَنْشَطُ آلافُ ٱلْأَشْخاصِ . وَفي ٱلْعالَمِ ٱلْآنَ عَدَدٌ مِنَ ٱلْمُدُنِ ٱلَّتي ٱتُّخِذَتْ مَقَرًّا حُكومِياً ، فَيَعْمَلُ مُعْظَمُ سُكّانِها في

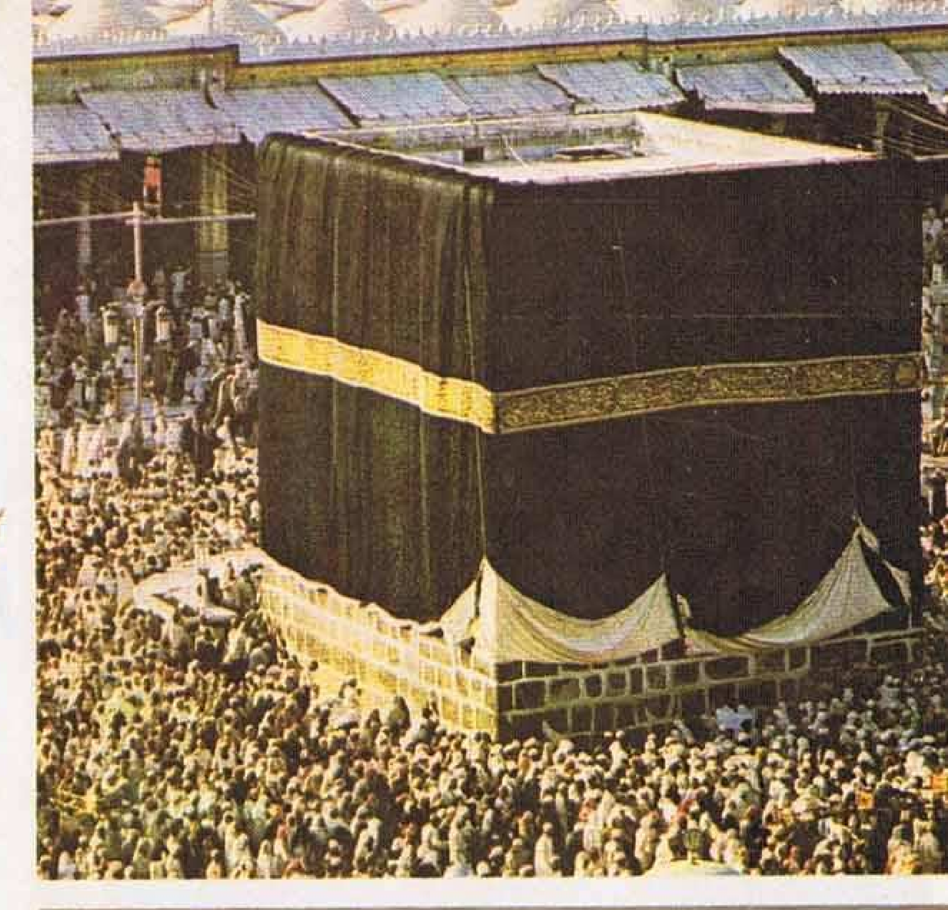


ٱلْإِداراتِ ٱلرَّسْمِيَّةِ كَمَدينَةِ بَرازيليا ٱلَّتي بُنِيَتْ خِصِّيصاً لِتَكونَ عاصِمَةً لِلْبَرازيلِ وَواشِنْطُن عاصِمَةِ ٱلْوِلاياتِ ٱلْمُتَّحِدَةِ ٱلْأَمْريكِيَّةِ .

طابَعٌ خاصّ

لِعَدَدٍ مِنَ ٱلْمُدُنِ طابَعٌ خاصٌّ تَتَميَّزُ بِهِ عَنْ سائِرِ ٱلْمُدُنِ ٱلأُخْرى . بَعْضُها مَرْكَزٌ دينيٌّ تَؤُمُّهُ مِئاتُ ٱلأُلوفِ مِنَ ٱلنّاسِ في ٱلْعامِ لِلْحَجِّ فَيَقومونَ بِشَعائِرِهِمُ ٱلدّينِيَّةِ . وَلِمُعْظَمِ ٱلدِّياناتِ مُدُنُها ٱلْمُقَدَّسَةُ كَمَكَّةَ ٱلْمُكَرَّمَةِ وَٱلْقُدْسِ . وَتَشْتَهِرُ مُدُنٌ أُخْرى بِمُناخِها أَوْ بِمِياهِها ٱلْمَعْدِنِيَّةِ فَيَقْصُدُها ٱلْمُسْتَشْفونَ لِلْمُعالَجَةِ وَلِلاِسْتِجْمامِ . وَمِنْ أَشْهَرِها فيشي في فَرَنْسا .

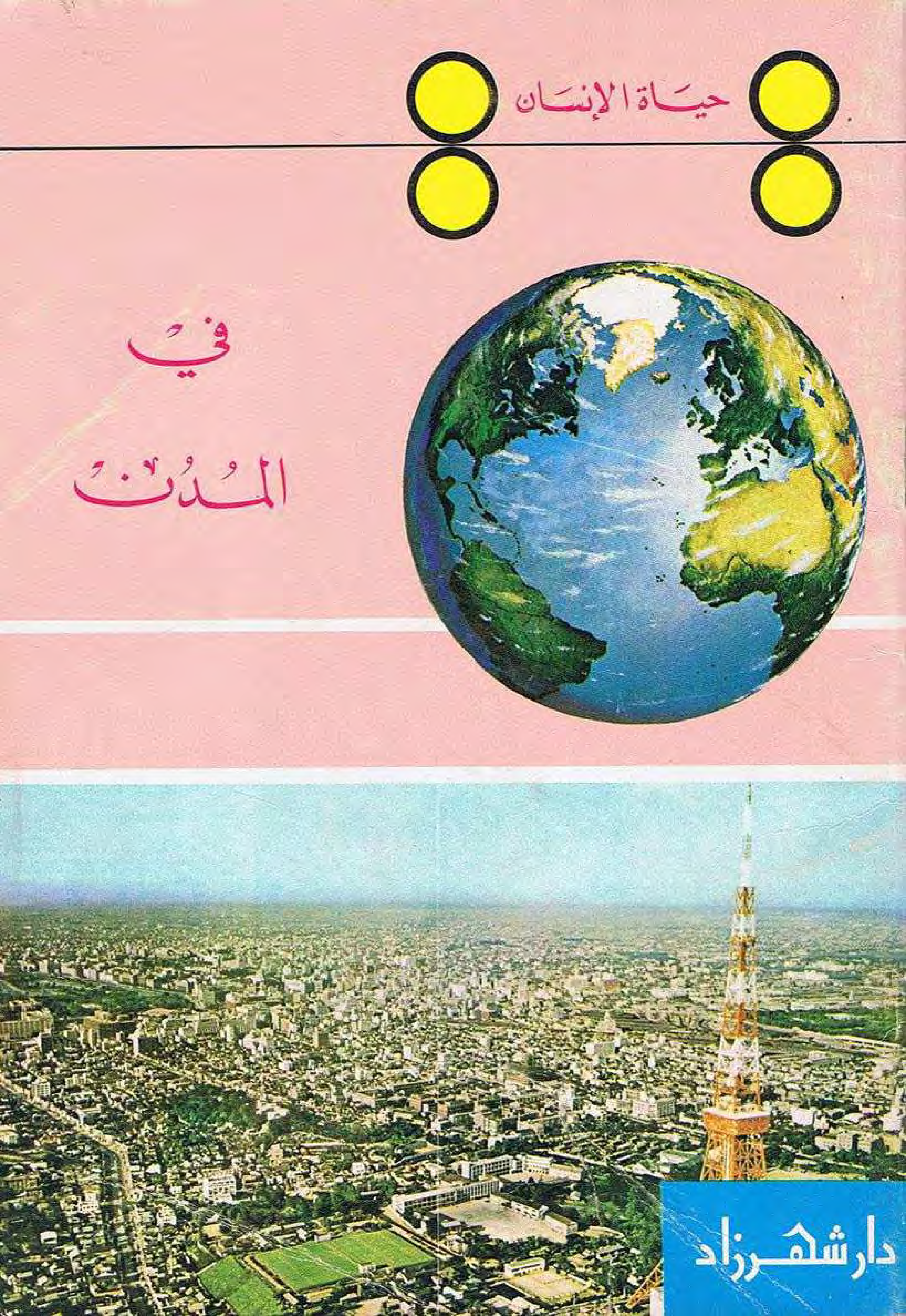
وَتَشْتَهِرُ مُدُنٌ أُخْرى بِجامِعاتِها وَمَتاحِفِها وَمَكْتَباتِها فَيَأْتيها ٱلطُّلّابُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَيُمْضونَ فيها سَنَواتِ تَحْصيلٍ وَدِراسَةٍ ، أَمْثالُ كَمْبِرِدْج في انْكلترّة .





حكايات جدتي




حياة الإنسان
في
المدن
دار شهرزاد